المعجمات العربية نشأتها وتطورها

أ.د. عبد محسن حمد العامري
Dr.Abedmohsin1967@gmail.com
الجامعة العراقية/ كلية الاعلام

الملخص

الأمة العربية في جاهليتها وصدر الاسلام لم تعرف المعجم،لعدم احتياج العرب لمثل هذا النوع من الكتب، فالعربية لغتهم ولسانهم بها يتخاطبون ويقرضون شعرهم،فتوارثوها عن السلف فحفظوها دون تدوينها،لأنهم أمة أمية وقد باعد الزمن بيننا وبين الفصحى وعصر الاحتجاج اللغوي ومشافهة الأعراب الخلص، فانتشرت اللهجات على ألسن الناس وعم بينهم خصائص اللهجات وأصواتها، فتحدثوا بألفاظ محدثة أو مولدة وغيرهما وتمسكوا بها، والحاجة الى استخدام المعجم اللغوي حاجة ماسة دائماً،،بل أهميتها كبرى الى كل من يتكلم اللغة العربية، إذ أن قدرة المتكلم على استيعاب المفردات محدودة،بميدان تخصصه وبمستوى ثقافته وتحصيله. وقد أطلقت كلمة (المعجم) تدل على أنه :كتاب يضم ألفاظ اللغة ويشرح معانيها ويزيل إبهامها. ويطلق على هذا النوع من المعجمات عدة أسماء : "معجمات المعاني" و"معجمات الموضوعات" و"المعجمات المبوبة" . كانت الغاية من التأليف المعجم العربي حماية العربية من ان يقتحمها الدخيل الذي لا ترضاه، والغريب الذي تنبو عنه و صيانتها من الخطأ في النطق أو الفهم والهدف من هذه المعجمات هو: جمع الألفاظ اللغوية ذات العلاقة الموضوعية تحت كتاب معين، يرجع الية من كان يعرف المعنى ويرغب في معرفة اللفظ الموضوع له

الكلمات المفتاحية: المعجمات العربية، نشأتها وتطورها.

their origins and development،Arabic dictionaries

AL-IRAQIA UNIVERSITY COLLEGE OF MEDIA

D r. Abed mohsin hamad

Abstract

The Arab nation، during its pre-Islamic era and at the beginning of Islam، did not know the dictionary because the Arabs did not need this type of book. Arabic was their language and their tongue، with which they communicated and recited their poetry. So they inherited it from their predecessors، so they preserved it without writing it down، because

they were an illiterate nation، and time had separated modern Arabic from classical Arabic and the era of linguistic protest and pure dialogue with the Bedouins. So dialects spread on people's tongues، and the characteristics of dialects and their sounds spread among them، so they spoke in new or generated words and other words and adhered to them. The need to use a linguistic dictionary is always urgent. Indeed، its importance is great for everyone who speaks the Arabic language، as the speaker's ability to comprehend vocabulary is limited by the field of his specialty، level of culture، and level of achievement. The word "dictionary" was used to indicate that it is a book that includes the words of the language، explains their meanings، and removes their ambiguity. This type of dictionary is called several names: "dictionaries of meanings،" "dictionaries of topics،" and "classified dictionaries." The purpose of writing an Arabic dictionary was to protect Arabic from being intruded upon by an intruder whom you do not approve of or by a foreign language whom it aspires to، and to protect it from errors in pronunciation or understanding. These dictionaries aim to collect linguistic words with an objective relationship under a specific book، which can be referred to by those who know the meaning and by those who want to know the utterance of the word used for it

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي جعل العربية اشرف لسان، وأنزل كتابه المحكم في أحسن تعبير وبيان، والصلاة والسلام على افصح العرب وأبلغهم منطقاً وعلى آله الأطيبين الأطهرين .. .

كان الهدف من التأليف المعجم العربي حماية العربية من ان يقتحمها الدخيل الذي لا ترضاه، والغريب الذي تنبو عنه و صيانتها من الخطأ في النطق أو الفهم، وألا يضيع بعضٌ منها في عاديات الزمن بموت العلماء ومن يحتج بلغتهم في زحمة الالسن غير العربية التي دخلت الاسلام واتخذت العربية لغة لها، وان هذا ما شغل فكر الانسان العربي عبر الزمن في مختلف الحضارات ، وكان للمسلمين العرب نصيبهم الأوفر في دراسة كثير من المسائل اللغوية؛ رغبة في فهم معاني الفاظ القرآن الكريم الذي كان محور دراساتهم وبه ارتبطت نشأة المعجمات

العربية،التي أثرت هذا العلم اثراءً كبيراً وقد قامت حركة علمية لغوية ضخمة بعد نزول القرآن .وكانت محور دراساتها اللغوية التي بدأت بتفسير القرآن ثم توسعت فقامت مرحلة جمع اللغة وتفسير ألفاظها،وظهرت المؤلفات وما عرفت بالرسائل اللغوية . ثم ابتكر العرب الألفاظ فوضعوا منهجاً منفرداً في تصنيف المعجمات اللفظية والموضوعية فمن معجمات الموضوعات ما وضع للفظ عموماً، ومنها ما عالج غريبه، ومنها ما أختص باللفظ الحسن والعبارة الكتابية الجميلة . واختلفت منهاج المعجميين تبعاً لأختلاف أهدافهم في وضع هذه المعجمات .

المبحث الاول

حاجتنا الى المعجم

لقد باعد الزمن بيننا وبين الفصحى وعصر الاحتجاج اللغوي ومشافهة الأعراب الخلص، فانتشرت اللهجات على ألسن الناس وعم بينهم خصائص اللهجات وأصواتها، فتحدثوا بألفاظ محدثة أو مولدة وغيرهما وتمسكوا بها،مما جعل الفصحى تنفر من قلوبهم،وأصبحت ثقيلة على ألسنتهم وإذا حدث ذلك فقد نسي أبناء العربية غالب ألفاظ لغتهم،ولقد اكتفوا بما يفي بحاجاتهم الاجتماعية وغيرها من الألفاظ، بما له صلة بحياتهم العامة نابذين التراث اللغوي العريض والذي ورثناه عن فصحاء العرب والذي دونه كبار علماء اللغة العربية فيما بعد حفاظاً عليه،أو خوفاً من الضياع.

فقد وضع العديد من العلماء كتباً في اللغة العربية – على مناهج مختلفة – لمساعدة الدارس لتفسير لفظ ما، والعودة اليها كلما دعت الضرورة لذلك وسموها معجماً أو قاموساً،أو اسماً خاصاً .

والحاجة الى استخدام المعجم اللغوي حاجة ماسة دائماً،بالنسبة دارسي اللغة،بل أهميتها كبرى الى كل من يتكلم اللغة، إذ أن قدرة المتكلم على استيعاب المفردات محدودة،بميدان تخصصه وبمستوى ثقافته وتحصيله.

وكل شخص معرض لقراءة النصوص اللغوية وفهمها في أي فن كان تخصصه،وهذا الأمر يحتاج إليه كل إنسان،وليس من المستغرب ان تحتوي النصوص مفردات لم يقرأها الشخص سابقاً أو دخلت حيز ثقافته وتخصصه، وهذا يحدث كثيراً، إذ أن كل شيء يبدأ صغيراً ثم يكبر حتى الثقافة .فلا بد ان يشعر الدارس الى الحاجة الماسة لعرض نقصه وفهمه على معجم لتسديد النقص وشرح لمغلق،وليلقي أمامه ضوءاً، يساعده على فهم اللفظ والمعنى،والمراد من العبارة أو اللفظ.

ويلاحظ ممن يستخدمون المعجمات ويألفون مطالعتها، أنها لا تعطي القارئ المعنى الكامل المراد من الكلمة أحياناً، والسبب في ذلك أن أساليب استخدام الألفاظ في حركة دائمة، فهي تتأثر باستعمالات الأفراد،كما تتأثر بعوامل التأثير الثقافي، فيضيق معناها أو يتسع .إلا أن

الدارس بحصافته يستطيع أن يربط بين المعنى المعجمي المنصوص عليه، والمعنى الذي يستشعره ذوقه، عن طريق لمح العلاقة المجازية بينهما .

وكثيراً ما نجد أن معاني بعض الألفاظ قد انقرضت وأصبحت من الركام اللغوي وان معاني أخرى قد ظهرت ولحقت بهذه الألفاظ لتطور اللغة الدائم. والمعاجم الحديثة تهتم بتدوين هذا التطور لمعاني الألفاظ فتذكر المعنى القديم والمعنى المحدث،سواء بالشرح أم به، وبالصورة معاً.

وفي أمتنا العربية صدف الناس عن اللغة ودراسة ألفاظها، والرجوع الى معاجمها وكتبها اللغوية، ووصفوها بالصعوبة تارة وأخرى بالتخلف، وطوراً بأنها قاصرة على متابعة الركب الحضاري، وهذا ناشئ عن عدم اهتمام رجال اللغة اهتماماً جاداً في نشر اللغة مستعملين جميع الطاقات البشرية والاعلامية، والتراخي الملحوظ من قبل مدرسي اللغة في المدارس وغيرهما من عوامل الضعف، فضعفت العلاقة بين المتعلمين واللغة، فاذا بِجُلِّ شباب الأمة ابتعدوا عن الثقافة اللغوية العربية،واكتفوا باللهجة العامية في محادثاتهم .

فلا بدّ من إعادة الوعي التربوي المعجمي الى مدارسنا وجامعاتنا لنعيد الى أذهان طلاب العربية وغيرها لغتهم، وهذا لا يتأتى إلا اذا شبَّ على التمكن من المهارة المعجمية والبحث في بطون أمهات الكتب ولهذا إذا انصرف الى فروع دراسية بعيدة عن الدراسة اللغوية والأدبية، تظل معه هذه المهارة والملكة في متابعة اللغة والمداومة على حبها، فمن شبَّ على شيء شاب عليه وكم في العالم العربي من أطباء وغيرهم ساهموا في وضع معاجم لغوية عربية ضمن تخصصهم

المبحث الثاني

معنى المعجم

الباحث عن معنى كلمة (المعجم) يجردها من الزوائد كما هو الحال عند البحث عن معنى اي كلمة – وهي هنا :(العين،والجيم،والميم). وتدور مادة (ع ج م) في اغلب ألفاظها حول السكوت والصمت (فالرجل الذي لا يفصح هو أعجم،والمرأة عجماء :بينة العجمة .ويقال للصبي مادام لا يتكلم ولا يفصح :صبي اعجم،ويقال (صلاة النهار عجماء) إنما أراد لا يجهر فيها بالقراءة،وقولهم :العجم الذي ليسوا من العرب،وهذا هو القياس .كأنهم لما لم يفهموا وكذلك كل من لم يقدر على الكلام فهو أعجم ومستعجم ...) [١].

فيما تقدم نجد أن العرب استعملوا هذه المادة ومتفرعاتها للدلالة على الخفاء والابهام. وقد عرف د. إبراهيم نجا المعجم بأنه (كتاب يضم ألفاظ اللغة مرتبة على نمط معين مشروحة شرحاً يزيل إبهامها،ومضافاً إليها ماياناسبها من المعلومات التي تفيد الباحث،وتعين الدارس على الوصول الى مرادة) [٢].

[١] مقاييس اللغة ,مادة ((ع ج م)).

[٢] المعاجم اللغوية، ص٥.

ولكن المعاني السابقة التي استعملها العرب لكلمة (عَجَمَ) ومشتقاتها،هو المعنى الأصلي للمادة :(الابهام والغموض)، وهي لا تتفق مع معنى كلمة المعجم المأخوذة من نفس الأصل والتي تدل على الشرح والتوضيح ؟ إن زيادة بعض الحروف في الكلمة تسبب تغييراً في المعنى.

وتحدث علماء الصرف عن ذلك، وخصصوا له باباً سموه (معاني صيغ الزوائد)، وبعض أنواع الزيادة تقلب المعنى إلى ضده، كتضعيف عين الكلمة،أو زيادة الهمزة أول الكلمة لتدل على معنى الإزالة، كأشكيته: أزلت شكواه،وأقذيته : أزلت القذى عن عينه،وأعجمته :أزلت عجمته، وأذهبت خفاءه، ولعل هذا المعنى قد استفيد من دخول الهمزة على الفعل .

قال ابن جني في الخصائص :(ثم إنهم لما قالوا أعجمت الكتاب إذا بينته وأوضحته،فهو إذاً لسلب معنى الاستبهام لا إثباته) [١].

وحروف الهجاء سميت بحروف المعجم لتلك المناسبة،لأن النقط الموجود في كثير منها يزيل الخفاء المحدق بها ويوضح للناظر المراد منها وذلك مثل الحرف (ب) فان وضعت تحته نقطة واحدة كان باء، إن وضعت علية نقطتان من فوق كان تاء،وإن نقط بثلاث نقط فوقة كان ثاء،وهكذا (ح) وغيرها [٢].

وكان علماء اللغة قديماً إذا خافوا من التحريف أو التصحيف نصوا على الحرف بعينه فيقولون :بالذال المعجمة،أو :بالمعجمة التحتية أو الفوقية،إذا كان الحرف باء أو نوناً،فكأن الاعجام – التنقيط –يأتي لازالة الابهام .

فمعنى المعجم :هو الكتاب الذي أزيلت العجمة فيه وذهب الخفاء منه.

وإن اطلاق كلمة (المعجم) تدل على أنه :كتاب يضم ألفاظ اللغة ويشرح معانيها ويزيل إبهامها.

وعندما اتسعت الدولة الاسلامية، واختلط العرب بالأعاجم وخاف الغيارى على العربية ضياعها، فضلا على أن اللحن قد تفشى بين العامة والخاصة، وأصبح الناس لا يكترثون بالفصحى، هب لإنقاذ العربية علماء عرفوا بالثقة والعدل والعلم وغير ذلك من الاخلاق الحميدة أمثال: الخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب الضبي، وأبو زيد الانصاري، وخلف الأحمر، والأصمعي وغيرهم، فكانوا في

طليعة من انتجع البادية لجمع اللغة من مظانها ومكامنها ليأخذوا اللغة من منابعها الصافية، ويتناولوها من الرجال الموثوق بفطرتهم .

والباحث اللغوي يدرك غيرة هؤلاء العلماء على الفصحى، فقد منعوا استعمال كلمات ظنوا أنها سيئة أو لهجة رديئة أو ملحونة، وتشددوا في استعمال الفصحى كي تصفو، والسبب في ذلك أنهم لم يعرفوا أو يطلعوا على مصدر اللفظ الموثوق به.

[١] الخصائص ج ٣، ص٧٥-٧٦ .

[٢] ينظر المعاجم اللغوية، ص٥.

المبحث الثالث

نشأة الفكرة المعجمية

الأمة العربية في جاهليتها،وصدر الاسلام،لم تعرف المعاجم،لعدم احتياج العرب لمثل هذا النوع من الكتب،فالعربية لغتهم ولسانهم بها يتخاطبون ويقرضون شعرهم،فتوارثوها عن السلف فحفظوها دون تدوينها،لأنهم أمة أمية.

ولا توجد حاجة ماسة للتدوين،ومن احتاج الى فهم لفظ ما لجأ الى البادية يشافه العرب اَخذاً منهم لغة فصيحة.

وكان الصحابة يلجأون الى الشعر العربي ليشرحوا الالفاظ الغريبة لآيات القرآن الكريم،ومن المعروف أن عمر بن الخطاب كان يخطب مرة فخفي عليه معنى كلمة (الأب) في قوله تعالى:(وفاكهة وأبا) فسأل عنها وهو على المنبر،ولقد حدث مثل هذا كثيراً في مختلف العصور وقد كان الشعور الديني لفهم القرآن الكريم باعثاً كبيراً الى اللجوء لشعر الجاهلية لفتح مغاليق الألفاظ،وفهم الأساليب الغريبة في الآيات الكريمة،والحديث النبوي الشريف .

قال ابن عباس :(إذا سألتموني عن غريب القرآن،فالتمسوه في الشعر،فإن الشعر ديوان العرب)[١] ولهذا القول روايات أخرى عديدة .

وقال أبو حاتم الرازي (ولولا ما بالناس من الحاجة الى معرفة لغة العرب،والاستعانة بالشعر على العلم بغريب القرآن،وأحاديث رسول الله (صل الله عليه وسلم) –والصحابة والتابعين، والأئمة الماضين لبطل الشعر،وانقراض ذكر الشعراء،ولعفى الدهر على آثارهم ونَسِيَ الناس أيامهم)[٢].

ولما كان القرآن الكريم،نزل منجماً بالفصحى المشتركة بين قبائل العرب،وبلغة عربية من صفاتها أنها تعلو عن مستوى العامة من العرب،كان من الضروري ان يتساءل كثير من الصحابة والتابعين عن معاني الكلمات التي تجيش في صدورهم ويستشيرون أصحاب العلم والرأي من كبار الصحابة عن تفسير الآليات،وغريب ألفاظ القرآن الكريم.

وذكر السيوطي في النوع السادس والثلاثين من كتابه :الاتقان في علوم القرآن، سؤالات نافع بن الأزرق الى عبدالله بن عباس،قال السيوطي[٣] (بينما عبد الله بن عباس،جالس بفناء الكعبة،وقد أسدل رجله في حوض زمزم، إذ الناس اكتنفوه من كل ناحية،يسألونه عن تفسير القرآن،وعن الحلال والحرام،وإذا هو لا يتعابى بشيء يسألونه عنه،فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر : قم بنا إلى هذا الي يجترئ على تفسير القرآن، والفتيا بما لا علم له به، فقاما اليه، فقالا :نريد ان نسأل عن أشياء من كتاب الله –عز وجل –فتفسره لنا،وتأتينا بمصداقه من كلام العرب،فان الله

(١) الزينة ج١، ص١١٦.

(٢) الاتقان للسيوطي ج١، ص١٢١.

(٣) ينظر الاتقان ج١، ص١٢١؛ وينظر تفسير القرطبي ج١، ص٢٤-٢٥.

–عز وجل –إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين . قال بن عباس :سلاني عما بدا لكما،تجدا علمه عندي حاضراً،إن شاء الله تعالى .فقال نافع: يا ابن عباس،أخبرنا عن قول الله تعالى: (عن اليمين وعن الشمال عزين) قال :عزين : حلق الرفاق .قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال :نعم أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول :

فجاءوا يهرعون إليه حتى يكونوا حول مِنبَرِه عزينا

قال نافع :يا ابن عباس،أخبرني عن قول – عز وجل –: (وابتغوا اليه الوسيلة) قال: الوسيلة :الحاجة .قال أو تعرف العرب ذلك؟

قال: نعم،أما سمعت عنترة العبسي،وهو يقول :

إنّ الرجالَ لهم إليكِ وَسِيْلَةٌ إن يأخُذُوكِ تكحّلِي وَتَخَتضَّبِي

قال نافع : أخبرني عن قوله "شرعة ومنهاجاً" قال: الشرعة: الدين–والمنهاج: الطريق . قال : وهو تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم أما سمعت أبا سفيان أبن الحارث بن عبد المطلب يقول:

لقد نطق المأمون بالصدق والهدى وبين للإسلام ديناً ومنهاجاً

ويتابع نافع بن الأزرق يسأل وابن عباس يفسر ويستشهد من الشعر، على المنهج الذي ذكرت، وقد طالت هذه المسألة الى ما يقرب من مائتين وخمسين موضعاً من القرآن الكريم، وملأت خمس عشرة صفحة في كتاب "الاتقان في علوم القرآن" . وهذه الرواية مشهورة وقد ذكرها كثير من علماء اللغة والادب، وخير مثال كتاب "الكامل" [١] للمبرد، و "ايضاح الوقف والابتداء" [٢] لابن الأنباري .

هذه المحاورة بين ابن عباس ونافع ومع غيره من الناس، عدت النواة الأولى لوضع المعجمات العربية، فقد كان يفسره للقرآن الكريم على هذا الشكل جميلاً، اذ كان يفسر القرآن بالأشعار العريقة، غير أنها لا تعد في مرحلة التدوين اللغوي والتأليف المعجمي، لكنها أظهرت نشاطاً لغوياً متقدماً، في عصر لم يكن العلماء بعد قد فكروا بالتأليف والتدوين، وتنبؤنا أن الفكرة المعجمية قد وجدت في أذهان العرب، الا أنها لم تبرز في حيز الوجود على هذا الوجه المتعارف عليه .

ان كتب غريب القرآن، حاولت أن تكون من الكتب المتخصصة اللغوية، لكن الذي حققه الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتابه "العين" لم يستطع احد من العلماء أن يرقى الى الترتيب المعجمي الذي اتبعه الخليل، ذلك أنه سار في تأليفه للعين، على طريقة رياضية بحتة في استقصاء اللغة وجمعها، وفي مرحلة متقدمة جداً من مراحل التأليف عامة في بلاد العرب المسلمين، في وقت لم يظهر في أوروبا اية معجم.

[١] الكامل، للمبرد، ج٣، ص٢٢٢–٢٢٨ .

[٢] ايضاح الوقف والابتداء، لابن الأنباري، ص٧٦–٩٨ .

فالخليل كان عبقري زمانه، ابتكر علم العروض، ووضع أول معجم لغوي للعربية، أما الرسائل في غريب اللغة، وكتب غريب القرآن، فلا تعد من باب المعاجم الا تهاوناً، مع العلم أن الخليل توفي سنة (١٧٠هـ) تقريباً. وكان معاصراً لا بان بن تغلب، وكان الخليل متفوقاً بالعلم والفضل والزهد، وأكثر كتب تراجم اللغويين لا تذكر ابان، بينما عرف الخليل بعلمه وأشتهر، ولا يخلو كتاب في اللغة قديماً الا ونقل عنه .

واطلاق كلمة "معجم" على الكتب التي تضم ألفاظ اللغة وتشرح معانيها بطريقة حاصرة، لم تكن سباقة في كتب اللغة، اذ ان علماء الحديث قد سبقوا علماء اللغة الى هذه التسمية، حيث سمة المحدث أحمد بن المثنى المتوفى (٣٠٧هـ) كتابه (معجم الصحابة) في معرفة أسماء الصحابة، وتبعه المحدث عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي المتوفى سنه (٣١٤هـ) في تسمية كتابيه أسماء الصحابة، سمى الاول "المعجم الكبير" والثاني "المعجم الصغير".

وقد شاعت هذه التسمية فأطلقت على الكتب الجامعة في الأدب والحديث والتاريخ وغيرها، كما فعل ياقوت الحموي، فسمي كتابيه: معجم الأدباء، ومعجم البلدان. الا أن عامة الناس والعرف اصطلحوا على أن الكتاب المعجم :هو كتاب لغة، يضم ألفاظها ويشرحها بطريقة معينة.

المبحث الرابع

انواع المعجمات

ظهر في بلاد العرب أنواع عديدة من المعجمات، والمعجمات المعنوية هي احدى هذه الأنواع، وقد ذكرت بعض الكتب التي اتبعت هذا الترتيب .

ويطلق على هذا النوع من المعجمات عدة أسماء : "معجمات المعاني" و"معجمات الموضوعات" و"المعجمات المبوبة" .

والهدف من هذه المعجمات هو: جمع الألفاظ اللغوية ذات العلاقة الموضوعية تحت كتاب معين، يرجع الية من كان يعرف المعنى ويرغب في معرفة اللفظ الموضوع له .

والمعجمات التي اتبعت نظام الترتيب الموضوعي، ساهمت في المعجمية العربية كثيراً، وكان لكثير منها دور في اللغة العربية حيث أن غالبها كان أحد المصادر الموثوق بها عند المتأخرين، لأنها جاءت في مرحلة متقدمة، في عصر تدوين اللغة. ما بين القرن الثاني والخامس الهجري .

النوع الأول: المعجمات المعنوية

يهدف الى جمع الألفاظ الموضوعة للمعاني، وهذه المعجمات يرجع اليها من يعرف المعنى ويرغب في معرفة اللفظ الموضوع له، وتعرف باسم "معجمات المعاني".

ومن أبرز الكتب التي ألفت في هذا الباب: "الغريب المنصف" لأبي عبيد القاسم بن سلام، المتوفي سنه (٢٢٤هـ)، وكتاب: "الألفاظ" لابي يوسف يعقوب ابن اسحاق السكيت، المتوفي سنه "٢٤٤هـ" والمعروف بابن السكيت . وكتاب "جواهر الالفاظ" . لقدامة بن جعفر، المتوفي سنه

(٣٣٧هـ) . وكتاب "الألفاظ الكتابية"، لعبد الرحمن بن عيسى الهمزاني، المتوفي سنه "٣٢٠هـ"، اتبع منهج الغريب المنصف، وهو أول كتاب ألف على نسق الغريب. وكتاب "متخير الألفاظ" لأبي الحسين أحمد بن فارس اللغوي، المتوفي سنة "٣٩٥هـ"، وكتاب "مبادىء اللغة" لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الاسكافي، المتوفي سنة "٤٢١هـ" . وكتاب "فقه اللغة وسر العربية" لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي، المتوفي سنه "٤٢٩هـ"، وكتاب " المخصص في اللغة" لأبي الحسن علي بن سيدة الأندلسي، المتوفي سنة "٤٥٨هـ" .

ونظام هذه المعجمات يعتمد على "الموضوعات" . فترتب أبواب الموضوعات بحسب العنوان، وتأتي الكلمة المراد معرفتها في الموضوع التابعة له معنوياً .

فالمعجم يقسم حسب ما يرى المؤلف من الكتب أو الأبواب . مثل : كتاب الزينة، وكتاب الخيل، وكتاب الأطعمة، وكتاب الوحوش، وهكذا . فاذا أراد الدارس أن يكشف على لفظة ما، فانه يجب أن يحدد في أي الموضوعات من المحتمل أن تكون هذه اللفظة، ثم يفتش عن الباب أو الكتاب الذي يتحدث عن هذا الموضوع .

فالذي يريد ان يبحث عن كلمة "ظلف" يجدها في كتاب البقر، ومن كان يطلب كلمة "حافر" يجدها في كتاب الخيل، وكذا "غصن" في كتاب الشجر، و "السيف" في كتاب السلاح . و"ابن لبون" في "كتاب الابل" . و"النسر" في كتاب "الطيور" و"الظفر" في كتاب خلق الانسان . و"القميص" في كتاب اللباس. و"الغرفة" في كتاب الدور والأرضين.

وهذا النظام شاق على المبتدئين، لأن الباحث يضطر أن يحدد الباب الذي يمكن أن يجد فيه اللفظ المراد البحث عنه ثم يقرأ في الباب، ولعله يشارف نهاية الباب حتى يجد ضالته، اذ ان الترتيب الرياضي مفقود بين المواد اللغوية، ونحصر الكلمات في الباب دون ترتيب معين، ولا يستطيع الباحث ان يتخطى الجمل والفقرات التي لا تعنيه . والعلاقة الوحيدة بين الالفاظ في الباب، الموضوع المعنوي العام.

والناس يختلفون في القدرات، والافادة من هذا النظام كبير، كما يرى – صاحب المخصص– ابن سيدة، انه "أجدى على الفصيح المدره، والبليغ المفوه، والخطيب المصقع، والشاعر المجيد المدقع، فانه اذا كانت للمسمى أسماء كثيرة، وللموصوف أوصاف عديدة، تنقى الخطيب والشاعر منها ما شاءا، واتسعا فيما يحتاجان اليه من سجع وقافية" [١] .

النوع الثاني : المعاجم اللغوية

يهدف الى شرح معاني الالفاظ وبيان اصل الكلمة واشتقاقها ويسير في ترتيب الالفاظ على نظام معين بطريقة حاصرة، ولهذا النوع حاصرة سار عليها علماء اللغة في جميع ترتيب المادة اللغوية

[١] ينظر : المخصص ج١، ص١٠ .

ويطلق على هذا النوع من التأليف المعجمي اسم : (معاجم الالفاظ) . وهذا النوع هو المقصود في المعاجم اللغوية،

والناظر الى تسمية "المعجمات اللغوية" يرى أنها لا تناظر تسمية "المعجمات المعنوية" وكان الأولى بتسميتها ب "معجمات الألفاظ"، لكن اصطلح عليها وعرفت بهذا الاسم.

والمتتبع للمعجمات اللغوية يجدها تنحصر في ثلاثة أقسام، وأطلق على كل قسم مدرسة، وهي على التقسيم التالي :

اولاً : مدرسة التقليبات، وهي تتفرع الى قسمين :

أ- التقليبات الصوتية.

ب- التقليبات الهجائية.

ثانياً : مدرسة الهجائية العادية، وهي تتفرع الى قسمين:

أ- الهجائية العادية الدائرية.

ب- الهجائية العادية.

وهذا التقسيم هو الحاصر لمعظم المعجمات اللغوية العربية، ولا يدخل في بابه جميع المعجمات، مثل : "الجيم" لأبي عمرو اسحاق بن مرار الشيباني (المتوفى سنة ٢٠٦هـ)، ومعجم "ديوان الادب في بيان لغة العرب" لا سحاق بن ابراهيم

الفارابي (المتوفى سنه ٣٥٠هـ)، والمعجم المهم "شمس العلوم، ودواء كلام العرب من الكلوم " لنشوان بن سعيد الحميري (المتوفى سنه ٥٧٣هـ) .

وفيما يلي مدرسة التقليبات بقسميها :

أولا: مدرسة التقليبات

ونعني بالتقليبات : تقديم أو تأخير الأحرف التي يؤلف منها لفظ ما، فيتكون معنا من تحريك أي حرف في اللفظ الواحد، كلمة أخرى ذات مدلول مغاير عن الأول، أو مهملة.

فكلمة "قد" تقلب الى "دق"، وكلمة "كرب" يكون عدد تقليباتها يضرب ناتج تقليبات الثنائي، بعدد أحرف الكلمة الثلاثية فيكون الناتج ستة تقاليب، على الوجه التالي: كرب، كبر، ركب، ربك، بكر، برك. وهذه الطريقة تتجه نحو الاحصائية الرياضية البحتة، وتوضيح هذه النظرية، بطريقة هندسية، بأن نفترض مثلثاً ونسمي كل زاوية من زواياه حرفاً من حروف الكلمة المراد تقليبها، على الشكل الهندسي، فنسمي الزاوية العليا "ك" واليمنى "ر" واليسرى "ب". فاذا قرأنا الأحرف مجتمعة فأنها تكون ألفاظاً لها معنى، أو ألفاظاً مهملة، وتقليبات "ب، ك، ر" كلها مستعملة .

فاذا ابتدأنا في المثلث من زاوية "ك" ثم "ر" ثم "ب" لحصل معنا "كرب".

وأيضاً اذا ابتدأنا مرة أخرى ب "ك" لكن ثنينا ب "ب" ثم "ر" يحصل معنا "كبر".

وكذا لو ابتدأنا بالزاوية اليمنى لنتج "ركب" ثم "ربك"، وكذا لو ابتدأنا بالزاوية اليسرى لنتج "بكر" ثم "ركب" .

وأما الرباعي فان عدد تقليباته أربعة وعشرون تقليباً، ناتجة عن ضرب عدد تقليبات الثلاثي، بعدد أحرف الرباعي (٦×٤=٢٤)، فكلمة " عبقري" بعد تجريدها من الزوائد، تكون على "عبقرة" وهي كلمة رباعية وجميع أحرفها أصلية فيكون تقليبها على الشكل التالي [١] .

ع ق ر ب/ ع ق ب ر/ ع ر ق ب/ ع ر ب ق/ ع ب ق ر/ ع ب ر ق/

ق ع ر ب/ ق ع ب ر/ ق ر ع ب/ ق ر ب ع/ ق ب ع ر/ ق ب ر ع/

ر ع ق ب/ ر ع ب ق/ ر ق ع ب/ ر ق ب ع/ ر ب ع ق/ ر ب ق ع/

ب ع ق ر/ ب ع ر ق/ ب ق ع ر/ ب ق ر ع/ ب ر ع ق/ ب ر ق ع/

وأما الخماسي – وهو قليل في العربية– فان عدد تقليباته مائة وعشرون تقليباً، ناتجة عن ضرب عدد تقليبات الرباعي بعدد أحرف الخماسي، (٢٤×٥=١٢٠). فكلمة "سفرجل" وهي كلمة خماسية وجميع أحرفها أصلية، فيكون عدد تقليبات هذه الكلمة يبلغ هذا العدد، ويقسم التقليب الى مجموعات بعدد الأحرف الخمسة للكلمة، بحيث ان جميع تقليبات المجموعة تبدأ بالحرف نفسه، واليك مجموعة واحدة من التقاليب، ونختار مجموعة حرف "س"، ولهذا ينتج معنا كلمة "سفرجل" والسبب أننا سنقلب المجموعة "س" التي ابتدأت بها كلمة "سفرجل" [٢] .

س ج ر ل ف/ س ج ر ف ل/ س ج ل ر ف/ س ج ل ف ر/ س ج ف ر ل/ س ج ف ل ر /

س ر ج ل ف/ س ر ج ف ل/ س ر ل ج ف/ س ر ل ف ج/ س ر ف ج ل/ س ر ف ل ج/

س ل ج ر ف/ س ل ج ف ر/ س ل ر ج ف/ س ل ر ف ج/ س ل ف ج ر/ س ل ف ر ج/

س ف ج ر ل/ س ف ج ل ر/ س ف ر ج ل/ س ف ر ل ج/ س ف ل ج ر/ س ف ل ر ج/

وهذه المجموعة الواحدة، تبدأ كلها بحرف موحد مع تقليب الأحرف الأربعة الباقية، فاذا كنا نود تمام التقليبات، جعلنا حرف "ج" في أول التقليبات، وكذا "ر" و "ل" و "ف" . فينتج معنا من تقليبات الأحرف الأربعة التالية للحرف الأصلي أربعة وعشرون تقليباً، ولو كررنا العملية على خمسة أحرف تكون في بداية تقليبات الأحرف التالية الأصلي فيكون الناتج معنا كما أسلفنا ذكره مائة وعشرين تقليباً.

[١] سوف تقلب المادة على طريقة التقليبات الصوتية كي لا يثبت مره أخرى بل نرجع الى هذا التقليب في حينه.

[٢] سوف تقلب المادة على طريقة التقليبات الصوتية، مثل المادة الرباعية السابقة وللسبب نفسه .

ويمكن تطبيق التقليبات الرباعية والخماسية على النظرية الرياضية البحتة فأحرف الكلمة الرباعية تسمى بها زوايا المثلث ومركزه، ويجري بعد ذلك تقليب الأحرف على الطريقة الرياضية- كما هو موضح في الرسم- فينتج معنا عدد تقليبات الرباعي .

أما الكلمة الخماسية، فتسمى بأحرفها مربعاً ومركزه، ويجري التقليب المعهود للأحرف، على الطريقة الرياضية، - والرسم يبين ذلك – والحاصل معنا يكون عدد تقليبات الخماسي، ولن أتتبع النظرية الرياضية أكثر من ذلك، والا تحول العمل الى نشاط رياضي .

وأول من استعمل التقليبات الخليل بن أحمد، ولكن هذه الطريقة استقصائية، والقصد منها: جمع الكلمات المكونة من حروف واحدة . وهذا الجمع رياضي، أما الاستعمالات اللغوية لهذا الجمع، فان تقليب المادة قد تكون كلها مستعملة، ويحتمل ذلك في الثنائي والثلاثي، مثل "قد" و "ربك" . وقد تكون كلها مهملة، مثل: "ف ب م" . أو تكون بعض التقليبات مستعملة والاخرى مهملة، وهو الغالب.

وقد سمى الخليل بن أحمد ما استعمله العرب: بالمستقبل، وما لم تنطق به: بالمهمل. وما يشرحه عادة اللغوي انما هو اللفظ المستعمل وينبه عليه، فيقول الخليل، مثلا: "باب الهاء والنون، والميم معهما، هـ ن م/ ن هـ م/ م هـ ن مستعملات"[١]، أما بقية التقليبات فانها غير مستعملة، فلذلك أهمل ذكرها، وقليلاً ما يشير الى اهمالها [٢] وهذه التقليبات اللغوية المستعملة يبحث عنها تحت نطاق واحدة، وعلماء المعجمات اختلفوا في ترتيب الألفاظ المقلبة الى طريقتين:

أ- مدرسة التقليبات الصوتية .

ب-مدرسة التقليبات الهجائية .

الخاتمة

بعد هذه الرحلة البسيطة و اللطيفة مع نشأة المعجمات العربية،منذ نشأتها وتطورها عبر العصور التاريخية والادبية وقد تطورت بأتباع العديد من المناهج وأن اللغويين لم يقصروا في أتباع الطرق المتباينة في جمع اللغة العربية حسب متطلبات واحتياجات كل عصر وفق الظروف التي يمر به . وأن تطور المعجمات العربية وانظمتها وتعدد الطرق المنهجية التي اتبعتها المعجمات اللغوية والمعنوية في احصاء ألفاظ اللغة العربية قديماً وحديثاً وقد ذكرت اهم المميزات والخصائص التي حليت بها المعجمات العربية وناقداً الأنظمة القديمة التي اتبعتها،مع ذكر الأثر الجليل التي تركته في عالمنا المعاصر.

[١] ينظر معجم العين، حرف "الهاء" باب الهاء والنون والميم، ج٤، ص٦ .

[٢] مثل قوله : " باب الهاء والنون والباء معهما، هـ ن ب، ن هـ ب، به ن، ن ب هـ مستعملات، هـ ب ن، ب ن، ب،ن هـ مهملان" العين، ج٤، ص٥٨.

المصادر

١.الاتقان : للسيوطي

٢.ايضاح الوقف والابتداء، لابن الأنباري

٣.تفسير القرطبي،

٤.الخصائص : ابو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢) الهيأة المصرية العامة للكتاب ، ط٤

٥.الزينة :لأبي حاتم الرازي، تحقيق كرنكو – حيدر آباد، الهند ١٣٤٤هـ _١٣٥١، تصوير دار صادر، بيروت

٦.الكامل في اللغة والادب ، للمبرد، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم والسيد شحاته . القاهرة ١٩٥٦ م

٧.المخصص : لابن سيدة الأندلسي، بولاق ١٣١٦ _ ١٣٢١ هـ .

٨.المعاجم اللغوية : للدكتور ابراهيم نجا، السعادة، مصر .

٩.معجم العين، للخليل بن احمد . تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨٢ م

١٠.مقاييس اللغة، : لاحمد ابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة .